الفصل الثاني

مدخل إلى التربية

تعريف التربية

وظائف التربية

أهداف التربية

أهمية التربية

مدخل إلى التربية

إن التربية عملية اجتماعية، تنطلق فلسفتها وأهدافها من فلسفة المجتمع وأهدافه الذي توجد فيه، وترتبط في أنشطتها ومؤسساتها به، وتدور مناهجها وبرامجها حول هذا المجتمع وحاجاته، وتستجيب لتغيراته ومستجداته.

تعريف التربية

سنبدأ بالتعريف اللغوي للتربية؛ لوجود صلة قوية بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي لكل مفردة من المفردات؛ إذ أن الأصل في الاستعمال هو اللغة، ثم يجري نقْل اللفظ إلى الاصطلاح. وسنتناول تعريف التربية الاصطلاحي في المعاجم الفلسفية، وفي سياقه التاريخي.

تعريف التربية في قواميس اللغة

في سياق ذي طرح منطقي ومتسلسل في تناول تعريف أي كلمة ومفردة وتوضيح معناها، يجب أولًا استعراض تعريفها اللغوي.

وعند الرجوع إلى قواميس اللغة العربية نجد أن كلمة التربية تُحال إلى ثلاثة مدلولات وأصول لغوية، هي: يربو بمعنى زاد ونما (الأصل الأول)، رَبِيَ يربي على وزن خَفِيَ يخفي، ومعناها: نشأ وترعرع (الأصل الثاني)، ربَّ يَرُبّ بوزن مدّ يمدّ بمعنى أصلحه، وتولى أمره، وساسه وقام عليه ورعاه، وهو الأصل اللغوي الثالث (النحلاوي، 2013).

تعريف التربية الاصطلاحي في المعاجم الفلسفية

قدم أندريه لالاند في موسوعته الفلسفية مفهوم التربية على نحوين عام وخاص؛ تضمن العام منهما معنيين فرعيين آخرين، هما: (أ) أنها مسار يقوم على تطوُّر وظيفة أو وظائف عدة تطورًا تدريجيًّا بالدربة(*)، وعلى تجويدها وإتقانها. (ب) أنها حصيلة هذا المسار. والتربية المحددة بهذا النحو العام يمكنها أن تنشأ من عمل الآخر، أو من عمل الكائن ذاته الذي يكتسبه. أما معنى التربية بنحو خاص فهي سلسلة عملية إجرائية، يُدرِّب بها الراشدون الصغارَ، ويشجعون لديهم نمو بعض النزعات، وبعض العادات، كما تَعني تهذيب الحواس لدى الفرد في تقبُّل الإدراكات الحسية الجديدة؛ لتنتظم مع باقي الظواهر النفسية لكل فرد (لالاند، 2001، ص322–323).

ويُعرِّف صليبا التربية بأنها «تبليغ الشيء إلى كماله؛ أي هي – كما يقول المحْدثون – تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئًا فشيئًا؛ وهي تنمية شخصية الطفل من النواحي الجسمية والعقلية والخلقية، حتى يصبح قادرًا على مؤالفة الطبيعة، يجاوز ذاته، ويعمل على إسعاد نفسه وإسعاد الناس. والتربية ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الأخرى في نموها وتطوُّرها» (صليبا، 1982، ص266).

(*) التدريب.

تعريف التربية الاصطلاحي في سياقه التاريخي

يرى كثير من رجال التربية والتعليم أن كلمة التربية لها معانٍ اصطلاحية كثيرة ومتنوعة، وأن مصطلح التربية لا يخضع لتعريف محدد وموحد؛ بسبب تعدُّد العملية التربوية من ناحية، وتأثُّرها بالسياق الثقافي في شقه المعنوي من ناحية أخرى، إضافة إلى أنها عملية متطورة متغيرة بتغير الزمان والمكان (القضاة، 2008، ص23).

وبتتبع تصورات الفلاسفة والمفكرين للتربية عبر العصور المختلفة، نلمس هذا الاختلاف في المفهوم، فنجد أن أفلاطون في العصور القديمة يُعرِّف التربية بأنها إعداد الروح والجسم لبلوغ الجمال والكمال، وفي العصور الوسطى كانت التربية المسيحية والإسلامية تنمية للجانب الروحي، لتتحول إلى تنمية الجانب العقلي (عبدالحفيظ، 2010).

وينتقل تعريف التربية في العصر الوسيط إلى مفهوم مُغاير لها في العصر الحديث، لتُعرَّف بأنها تنمية الفرد تنمية اجتماعية إلى أقصى درجة تسمح بها إمكاناته واستعداداته، بحيث يصبح فردًا منتجًا ومتطورًا لنفسه ولمجتمعه وبيئته التي من حوله (العمايرة، 2010).

وفي وقتنا المعاصر، يكشف المفكرون عن العلاقة الشمولية التي يرتبط فيها الإنسان بالوجود والطبيعة والمجتمع، فيُعرِّفون التربية بأنها عملية تكيُّف أو تفاعُل بين الفرد وبيئته التي يعيش فيها، أو أنها عملية تكيُّف مع البيئة الاجتماعية والطبيعية المحيطة. ويميل أغلب المفكرين المعاصرين إلى إعطاء التربية طابعًا شموليًّا يأخذ في الحسبان مختلف العوامل المكونة للمفهوم، فتُوصَف التربية حسب الرؤية المعاصرة بأنها العملية التي تقوم على أساس العلاقة الواضحة بين الإنسان وعناصر الوجود، والتي يتم بموجبها التفاعل بين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والطبيعة والمجتمع، وفي عمق هذا التفاعل تتشكل شخصية الإنسان، وتتحدد سماته وخصائصه (ناصر، 2013، ص14).

وفي مرحلة ما بعد الحداثة، وبإجماع غير منقوص، يُعرِّف منظرو التربية بأنها أداة تمكين تخاطب الفرد الشمولي في عالم يشهد تباينًا ثقافيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا متسارعًا (جامعة الزيتونة الأردنية، 2012).

ويكاد يجمع التربويون على المفهوم الحضاري الشامل للتربية، ويستخدمونه في نظام التعليم، وهو أن التربية هي العملية الواعية المقصودة وغير المقصودة؛ لإحداث نمو

وتغيُّر وتكيُّف مستمر للفرد من جميع جوانبه الجسمية والعقلية والوجدانية، ومن زوايا مكونات المجتمع، وإطار ثقافته، وأنشطته المختلفة: الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والعلمية، وعلى أساس من خبرات الماضي، وخصائص الحاضر، واحتمالات المستقبل، فتعمل على تشكيل الأجيال الجديدة، في مجتمع إنساني في زمان ومكان معينين، وتنمية كل مكونات شخصياتهم المتفردة، وبما يُمكِّنهم من تنميتها إلى أقصى درجة ممكنة، من خلال ما يكتسبونه من معارف واتجاهات ومهارات، وبما يجعل كل فرد مواطنًا، يحمل ثقافة مجتمعه، متكيفًا مع نفسه ومع بيئته ومواقف الحياة المتغيرة، ومنتجًا يسهم في أحد مجالات العمل والإنتاج، وحساسًا بقضايا أمته والإنسانية جمعاء (الحاج، 2013، ص14).

وظائف التربية

تُشكِّل التربية الروح الحقيقية للحياة الاجتماعية بمختلف تنوعاتها؛ وهي عملية نمو مزدوجة لكل من الفرد والمجتمع، ترمي إلى التنمية الشاملة لكل منهما، وتقوم بوظائف متعددة على صعيديهما.

فعلى الصعيد الفردي، تقوم التربية بوظائف اجتماعية وثقافية متعددة، منها (ربيع، 2008):

- مساعدة الفرد على تحقيق التعلم والتغيير المرغوب في سلوكه.
- بناء خبرات الفرد وتجديدها وتعميقها وتوجيه اللاحق منها.
- الانتقال بالفرد من طور الفردية إلى طور الاجتماعية.
- تشكيل شخصية الفرد وفق توقعات المجتمع، وإكسابه المعايير والتقاليد والقيم والاتجاهات السائدة في مجتمعه، واللغة التي تيسر عملية الاتصال والتفاعل بينه وبين أفراد مجتمعه.

أما على صعيد المجتمع، فتكون بعض وظائف التربية ومهامها في (معوض وشرف، 2012):

- الحفاظ على بقاء المجتمع بنقل التراث الثقافي عبر الأجيال السابقة واللاحقة، وتحقيق التماسك بينها.
- مناقشة قضايا المجتمع ومشكلاته، ومواجهة تحدياته.
- إيجاد أفضل البدائل لحل المشكلات التي يعانيها المجتمع والتحديات التي تواجهه.
- المساهمة في تنمية المجتمع اجتماعيًّا واقتصاديًّا، وتطوير مستقبله.

ولقد صنَّف معظم علماء الاجتماع والتربية وظائف التربية في وظيفتين رئيستين، هما: الوظائف المحافظة، والوظائف التجديدية. ولا يعني هذا التقسيم أن هناك خطوطًا فاصلة بين هذين النوعين؛ حيث يتداخل كلا النوعين من الوظائف تداخلًا واضحًا، بما يعني وجود نوع من التكامل بينهما.

وتكاد تكون الوظائف التي أسلفنا للتربية هي وظائف التربية المحافظة. ويمكن حصر بعض أهم الوظائف التجديدية للتربية، كما فعل زيادة وآخرون على النحو الآتي (زيادة وآخرون، 2013):

1. إحداث التكيف الاجتماعي: ويكون بتنمية التربية للقدرات والاستعدادات الذاتية، التي تساعد الفرد على التكيف مع مجتمعه، وبتوفير الظروف البيئية الملائمة لإحداث التكيف المطلوب بين الفرد وبين الآخرين.

2. تحقيق التقارب والتوازن بين الطبقات: وذلك بتفعيل التربية للمبادئَ الديمقراطيةَ من مساواة وعدالة وتكافؤ للفرص التعليمية، تقضي بها على الطبقية والتفرقة والتمييز بين الأفراد الملتحقين بنظام التعليم العام.

3. تنمية أنماط سلوكية جديدة لدى الأفراد: ومنها القيم الأخلاقية والثقافية التي تتطلبها التغيرات والمستجدات

التي تشهدها المجتمعات؛ لتجعل منهم قوة دافعة للتغيير والتجديد والتقدم.

4. تنمية مهارات الإبداع والابتكار لدى الأفراد: بتوفير البيئة المبدعة والمحفزة لهم؛ لتمكينهم من توظيف هذه المهارات في الإسهام في تنمية الثروات الوطنية أو المؤسسية المجتمعية.

5. المساعدة على تحقيق الحراك الاجتماعي الموجب: فالتربية بما توفره من بيئة ملائمة للأفراد المنتمين إليها، وبما تتيحه من تنمية لقدراتهم واستعداداتهم تسهم في ارتقاء الأفراد على السلم الاجتماعي بتدرُّج بقدر ما يمتلكون من قدرات وكفاءات، وحصولهم على مكانة اجتماعية عالية ووظيفة راقية داخل مجتمعهم.

ولا يبتعد كانتزارا Kantzara في استعراضه الوظائف الاجتماعية للتربية، عما سبق تناوله من وظائف اجتماعية لها؛ حيث حدد أهم الوظائف التي تسهم بها التربية على مستوى المجتمع في: التكيف الاجتماعي والحفاظ عليه، المساهمة في الحفاظ على الأشكال الحالية للتراتيب المجتمعية، إعادة إنتاج التربية، التجديد أو التغيير، الترقي (الحراك الاجتماعي)، الضبط الاجتماعي (Kantzara, 2007).

أهداف التربية

تُعَد التربية ذات قيمة في حياة المجتمعات؛ لسعيها إلى تحقيق هدفين أساسيين، هما:

المحافظة على الهوية الثقافية ممثلة في اللغة والقيم الثقافية والدين والتاريخ المشترك والنماء الاجتماعي متعدد الجوانب (علي، 2012).

وعمومًا؛ تنحصر أهداف التربية وتتحدد في مجالين، هما: الفرد والمجتمع، فتنقسم بذلك أهداف التربية إلى (محمد، 2014، ص36 – 39):

1. الأهداف الفردية للتربية

تهدف التربية من الناحية الفردية إلى إنماء شخصية المتعلم من جميع جوانبها، وذلك بتكوين مجموعة من المهارات والقيم والاتجاهات والمعارف، وطرق التفكير التي تجعل من الفرد شخصًا مؤهلًا للحياة، متكيّفًا مع البيئة المحيطة به، متوافقًا اجتماعيًّا، عضوًا صالحًا في أسرته ومجتمعه، منتجًا في مواقع العمل، مشاركًا في صُنْع مستقبله، متطلعًا إلى التقدم.

2. الأهداف المجتمعية للتربية

تتلخص أهداف التربية من زاوية المجتمع في: حفظ التراث الثقافي، تنقية هذا التراث وتجديده، تغيير المجتمع وتطويره، الإسهام في تحقيق التنمية الشاملة، نشر الوعي السياسي.

وكما نلاحظ أن أهداف التربية هي في حقيقتها المهام التي تسعى إلى تحقيقها، والوظائف التي يجب أن تقوم بها على الصعيدين الفردي والمجتمعي.

أهمية التربية

تَبرُز أهمية التربية وقيمتها في إرساء الديمقراطية وتطبيقها في المجتمعات، وتحقيق الوحدة القومية والوطنية فيها، وتطوير الشعوب وتنميتها اجتماعيًّا واقتصاديًّا، وزيادة قدرتها الذاتية على مواجهة التحديات الحضارية، وبناء الدولة العصرية (علي، 2012، ص474).

كما تظهر أهمية التربية في أنها جزء من عملية ترشيد المجتمعات، وتحقيق الغايات المجتمعية، والتحول المجتمعي (Kantzara, 2007).

كما أن للتربية أهمية في إحداث التغيرين الاجتماعي والثقافي في المجتمع، وأبرز زيادة وآخرون أهم أدوارها في ذلك، وهي (زيادة وآخرون، 2013، ص242 – 244):

1. بناء الرؤية الفكرية الدافعة إلى التغير والتقدم في المجتمع.
2. إكساب الأفراد القيم والاتجاهات المساهمة في إحداث التغير وتقبُّل نتائجه.
3. تعريف الأفراد بطبيعة التغير ومداه والمغزى منه.
4. عقلنة التربية للتغيرات الاجتماعية والثقافية.
5. تكوين العقلية الشمولية.
6. تعلُّم طرائق التفكير العلمي والتفكير الناقد والتفكير المستقبلي والإستراتيجي.
7. المواءمة بين الأصالة والمعاصرة.